

القسم الأول

الدراسة



الفصل الأول

ابن الدهان النحوى (٤٩٤ - ٥٦٩ هـ)



- اسمه ونسبه :

هو أبو محمد ناصح الدين سعيد بن المبارك بن على بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عاصم بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد ابن شاكر بن غياض بن حصن بن رجاء بن أبي بن سنبل بن أبي اليسر كعب بن مالك الأنصارى رضى الله عنه المعروف بابن الدهان النحوى البغدادى ^(١) .

- لقبه وكنيته :

من سلالة الصحابي الجليل كعب بن مالك الأنصارى - رضى الله عنه - عرف بابن الدهان البغدادى النحوى ، يكنى أبا محمد ، وكناه ابن الخباز ^(٢) (أبا عثمان) هذه الكنية لم يشتهر بها ابن الدهان ، وكنيته أبو محمد ، ويلقب ناصح الدين ، إمام جليل نحوى لغوى أديب مفسر مصنف .

- مولده ونشأته ووفاته :

ولد ابن الدهان سنة أربع وتسعين وأربعمائة ^(٣) ، فى شهر رجب على أغلب الظن ، وقال بعضهم ^(٤) ولد سنة (٤٩٣ هـ) ، ولد فى بغداد بنهر طابق وهى محلة بالجانب الغربى من بغداد ، وليس لدينا معلومات عن طفولته ونشأته الأولى ، إذ لم

(١) انظر: ترجمته فى معجم الألباء ٢١٩/١١ ، إنباه الرواة على أنباء النحاة ٤٧/٢ - ٤٨ ، وفيات الأعيان ٣٨٢/٢ ، ونزهة الألباء / ٣٦٢ ، معجم المؤلفين ٢٩/٤ ، إشارة التعيين ١٢٩ - ١٣٠ ، خريدة القصر وجريدة العصر ٨٢ ، تلخيص أخبار النحاة واللغويين مخطوط بدار الكتب ص / ٢٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٥٢١/٢٠ . الأعلام للزركلى ٣/ ١٠٠ .

(٢) انظر : الفريدة فى شرح القصيدة فى عويس الإعراب لابن الخباز ص / ٤٩ .

(٣) معجم البلدان ٤٨/٢ .

(٤) بغية الوعاة للسيوطى ٥٨٧/١ .

يذكر المؤرخون لنا أخباراً شافية عن تلك المرحلة ، شأنه في ذلك شأن كثير من كبار علمائنا ، لأن المرحلة الأولى من العمر لا تكون ذات أهمية مثل مرحلة النضوج عند أى عالم ، إلا إذا حدث فيها أشياء خارقة عن العادة .

ونشأ في بغداد في محلة المقتدية ، وهي إحدى المحال الشرقية من بغداد . ثم رحل إلى أصفهان بعد ذلك وسمع بها ، واستفاد من خزائن وقوفها ، وكتب الكثير من كتب الأدب بخطه ، ثم رجع إلى بغداد مرة أخرى واستوطنها زمناً ، اشتغل في فترة وجوده في بغداد بالتدريس في علوم العربية وتتلّمذ عليه ناس كثيرون ، وكان له جماعته وتلاميذه الذين يتعصبون له ، ويفضلونه على غيره من نحاة عصره ^(١) - حيث عاصره علماء أفاضل منهم ^(٢) الجوالقي ^(٣) ، وابن الخشاب ^(٤) ، وابن الشجري ^(٥) - ثم لم يلبث أن فكر في الخروج من بغداد مرة أخرى قاصداً دمشق ، وقابله وهو في طريقه إلى دمشق الوزير جمال الدين الجواد الأصبهاني في الموصل ، فأمسكه عنده ، وسكن في ظله وحظي من فضله ، وأحله محلاً رفيعاً فصدره للإقراء ، ومكث فيها يؤلف ويفيد ، وأقام بعده بها إلى أن توفي رحمه الله عام خمس مائة وتسعة وستين للهجرة ^(٦) .

(١) قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٢ : " وكان في زمن أبي محمد المذكور ببغداد من النحاة ابن الجوالقي وابن الخشاب وابن الشجري ، وكان الناس يرجحون أبا محمد المذكور على الجماعة المذكورين مع أن كل واحد منهم إمام " .

(٢) قال الدارودي في طبقات المفسرين ١/ ١٩١ : " قال الصماء الكاتب ، كان ابن الدهان سيبويه عصره ، وكان يقال حينئذ : النحويون ببغداد أربعة ، ابن الجوالقي وابن الشجري وابن الخشاب وابن الدهان " .

(٣) هو وهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر أبو منصور الجوالقي النحوي واللغوي . انظر : بغية الوعاة للسيوطي ٣٠٨١٢ ، ونزهة الألباء ص / ٣٩٧ .

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب النحوي . انظر : بغية الوعاة ٢/ ٢٩-٣٠ .

(٥) هو الشريف ضياء الدين أبو السعادات هبة الله على بن محمد بن حمزة " انظر : بغية الوعاة ٢/ ٣٢٤ ، ونزهة الألباء / ٤٠٤-٤٠٦ .

(٦) انظر إنباه الرواة ٢/ ٤٨-٥٢ .

• عقلية وثقافته :

أما عقلية ابن الدهان فحدث عنها كما نشاء ، فقد منحه الله ذاكرة قوية ، وعقلاً ناضجاً ، وموهبة فذة ، يتضح ذلك فى مؤلفاته وتصانيفه التى أبحرت فى مجالات كثيرة من فروع اللغة ، نحو ، وصرف ، وأبنية وأصوات وعروض وقافية وتراجم .

قال عنه القفطى : " ابن الدهان بحر لا يفيض ، وحبر لا يغمض ، سيبويه عصره ، ووحيد دهره ... له تلاميذ يفضلونه على غيره ، ويقصدون نحوه لنحوه " (١) .

وقال الياقعى : " وكان سيبويه زمانه " (٢) .

وقال ابن العماد الحنبلى : " كان سيبويه زمانه ، تصدر للاشتغال خمسين سنة " (٣) .

وقال السيوطى : " كان من أعيان النحاة المشهورين بالفضل ومعرفة العربية " (٤) .

وقيل عنه أيضاً : " رجل عالم فاضل ، كيس نبيه نبيل ، له معرفة كاملة بالنحو ، ويد بأسطة فى الشعر " (٥) .

تلك الشهادات من العلماء بعده تتم على أنه كان ذا عقلية فذة وثقافة واسعة فى علوم العربية ، فهو كما أشاروا له إسهامات فى التأليف خدمة للغة القرآن الكريم ، فهو نحوى لغوى مفسر أديب ، لكنه تخصص فى علوم العربية ولهذا اشتهر بالطابع النحوى .

أما منابع ثقافته فإنها المنابع الأصلية لعلمائنا الأفاضل . ومن أشهرها ، القوآن

(١) إنباه الرواة ٥١/٢ .

(٢) مرآة الجنان ٣٩٠/٣ .

(٣) مندرجات الذهب ٢٣٣/٤ .

(٤) بغية الوعاة ٥٨٧/١ .

(٥) إنباه الرواة ٤٧/٢ .

الكريم ومؤلفات العلماء حوله السابقة على ابن الدهان ، والحديث الشريف ، والشعر وكلام العرب من حكم وأمثال ، وكتب اللغة المتنوعة من أشهرها كتاب سيبويه فى المقام الأول ، وكتب أبى على الفارسى ، وكتب الأخفش ، وثلث ، وابن جنى وغيرهم كثير .

ـ شيوخه وتلاميذه :

أخذ ابن الدهان علمه وثقافته عن شيوخ كثيرين ، ذكرت لنا كتب التراجم بعضاً منهم :

قال ياقوت الحموى : " أخذ عن الرمانى اللغة العربية وسمع الحديث من أبى غالب أحمد بن البناء ، وأبى القاسم هبة الله محمد بن الحصين وغيرهم"^(١).

ولنا على عبارة ياقوت ملاحظة ، حيث إنه أشار إلى أن ابن الدهان أخذ النحو عن الرمانى ، والرمانى المشهور هو أبو الحسن على بن عيسى بن على توفى ٣٨٤ هـ^(٢) ، وابن الدهان ولد ٤٩٣ هـ فلا يعقل هذا ، إلا إذا كان ياقوت يقصد أنه تتلمذ على كتبه وعلمه ، أو أنه يقصد رمانياً آخر .

وأنا أرجح هنا أن من شيوخ ابن الدهان أولئك الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم معاصرو ابن الدهان ، فكتب التراجم تذكر أن ابن الشجرى والجوالقى وابن الخشب قد عاصروا ابن الدهان ، وتذكر أيضاً أن من شيوخ ابن الشجرى^(٣) ، التبريزى وعلى ابن فضال النحوى ، وابن طباطبا العلوى ، وأبو البركات عمر بن إبراهيم الزيدى الكوفى ، فلا يعقل أن يكون ابن الدهان معاصراً لهؤلاء العلماء ولم يأخذ على شيوخهم ، وهم فى نفس المكان والبيئة التى نشأ فيها ابن الدهان وهى بغداد .

أما شيخاه فى الحديث فهما :

١ـ أبو القاسم بن الحصين : هبة الله بن محمد عبد الله بن أحمد بن العباس بن الحصين الشيبانى البغدادى ، مسند العراق سمع ابن غيلان وابن المذهب ، وكلان

(١) معجم الأدباء ٢٢٠/١١ .

(٢) انظر : بغية الوعاة ١٨٠/٢ .

(٣) انظر : خريدة القصر ٥٢٣/٥٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٩٤/٢٠ .

دينا صحيح السماع توفي سنة ٥٢٥ هـ^(١) .

٢- أبو غالب بن البناء ، أحمد بن أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي الحنبلي مسند العراق، سمع الجوهرى وأبا يعلى بن الفراء ، توفي سنة ٥٢٧ هـ^(٢) .

٢. تلاميذه :

تتلمذ على يد ابن الدهان جمع كبير منهم :

١- ابن السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني الحافظ الكبير، صاحب كتاب الأنساب^(٣) ، توفي (٥٦٢ هـ) .

يقول أبو المحاسن اليمني في ترجمته لابن الدهان : " روى عنه أبو سعد ابن السمعاني " ^(٤) .

٢- البلطي : عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البلطي ، كان عالماً إماماً نحويّاً لغويّاً إخبارياً مؤرخاً شاعراً عروضياً^(٥) .

قال السيوطي : " أخذ النحو عن أبي نزار وسعيد بن الدهان ، توفي سنة ٥٩٩ هـ ، وله مصنفات عديدة " ^(٦) .

٣- ابن عساكر : أبو القاسم بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر الدمشقي، توفي ٥٢٧ هـ، وقيل سنة ٦٠٠ هـ^(٧) .

قال عنه القفطي : " يقول ابن عساكر : سمعت سعيد بن المبارك بن الدهان

(١) شذرات الذهب ٧٧/٤ .

(٢) شذرات الذهب ٧٩/٤ .

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٧٨/٢ .

(٤) إشارة التعيين ص ١٢٩ .

(٥) بغية الوعاة ١٣٥/٢ ، والأعلام للزركلي ٢١٢/٤ .

(٦) السابق ١٣٦/٢ .

(٧) وفيات الأعيان ١٢٦/٢ .

بنهر طابق ببغداد " (١) .

٤- مكى بن ريان بن شبة بن صالح الماكسينى الضرير النحوى توفى (٦٠٣هـ) (٢) .

٥- ابن الأثير : المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى العلامة مجد الدين أبو السعادات الجزرى الإربلى المشهور بابن الأثير، توفى (٦٠٦هـ) (٣) .

٦- ابن الأرملة النحوى : محمود بن الحسن بن على بن الحسن أبو الشتاء ، توفى (٦٠٦هـ) (٤) .

٧- أحمد بن على بن أبى زنبور : أبو الرضا النىلى الساكن بالموصل ، توفى (٦١٣هـ) (٥) .

٨- أبو الدر : ياقوت بن عبد الله الرومى الأسدى الموصلى توفى (٦١٨هـ) (٦) .

ـ ولده :

أبو زكريا يحيى بن سعيد بن المبارك بن على بن عبد الله ابن الدهان النحوى ابن النحوى بُشِّرَ به أبوه وقد أسنَّ فقال :

قيل لى جاءك نسلٌ ولد شهيم وسيمٌ

قلت عزوه بفقدى ولد الشيخ يتيمٌ

ثم توفى بعده وهو صغير ، فلما كبر ابنه انقطع إلى مكى بن ريان فأخذ عنه النحو ، وتخرج عليه ، واعتنى به لحق والده ، وكان نحوياً لغوياً أديباً شاكراً ولد سنة

(١) إنباه الرواة ٤٩/٢ .

(٢) بغية الوعاة ٢٩٩/٢ .

(٣) بغية الوعاة ٢٧٤/٢ .

(٤) بغية الوعاة ٢٧٦/٢ .

(٥) السابق ٣٤١/١ .

(٦) معجم الأنباء ٣١٢/١٩ .

• شعره :

نظم ابن الدهان الشعر كغيره من العلماء والنحاة ، ونكرت كتب التراجم أن له ديوان شعر . قال عنه القفطي : " له معرفة كاملة بالنحو ويد بأسطة في الشعر " (٢) . وقال أيضاً : " وشعره كثير " (٣) . . وقال ابن خلكان : " وله نظم حسن " (٤) .

وهاك نماذج من شعره :

— من شعره في السباحة في الأرض عند ضيق الرزق قوله :

قلوا اغترب عن بلاد كنت تالفها إن ضايق رزق تجد في الأرض منتزحاً
قلت انظروا الرقيق في الأفواه مختزناً عنها فإن بان عنها صار مطرحاً (٥)

— ومن شعره في الحياة وأمورها قوله :

بادر إلى العيش والأيام راقدة ولا تكن لصروف الدهر تنتظر
فالمر كالكماس يبدو في أوائله صفو وآخره في قعره الكدر (٦)

— وقال في الحث على الجد :

لا تجعل الهزء دأباً فهو منقصة والجد تكلو به بين الوردى القوم
ولا يفرّك من مكّ تبئممه ما تصخب للمخب إلا حين تبئمسم (٧)

وهناك نماذج كثيرة من شعره حفلت بها كتب التراجم نكتفي بالإشارة إلى

(١) بغية الوعاة ٣٣٤/٢ .

(٢) إنباه الرواة ٤٧/٢ .

(٣) السابق ٥٠/٢ .

(٤) وفيات الأعيان ٣٨٣/٢ .

(٥) وفيات الأعيان ٣٨٤/٢ .

(٦) إنباه الرواة ٤٩/٢ .

(٧) وفيات الأعيان ٣٨٣/٢ .

بعض صفحاتها ^(١) لمن أراد الاستزادة .

ـ مؤلفاته :

ألف ابن الدهان كثيراً من المؤلفات بلغ عددها أكثر من عشرين مؤلفاً ، وهذه المؤلفات تتناول الدراسات النحوية واللغوية والصرفية والعروضية والبلاغية والأدبية ، نذكرها هنا مرتبة ترتيباً أبجدياً ، الموجود منها والمفقود فى إشارات سريعة ، حيث قد فصلت القول فيها فى رسالتى للدكتوراه ^(٢) .

١ـ إزالة المراء فى الغين والراء ^(٣) (مفقود) .

٢ـ تفسير سورة الإخلاص ^(٤) (مفقود) .

٣ـ تفسير الفاتحة ^(٥) (مفقود) .

٤ـ تفسير القرآن فى أربعة مجلدات ^(٦) (مفقود) .

٥ـ كتاب الدروس فى العروض ^(٧) (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٨٦ عروض) .

٦ـ كتاب الدروس فى النحو ^(٨) (مفقود)

٧ـ ديوان رسائل ^(٩) (مفقود) .

٨ـ ديوان شعر ^(١٠) (مفقود) .

(١) انظر : معجم الأدباء ٢٢٣/١١ ، بغية الوعاة ٣٣٤/٢ ، وفيات الأعيان ٢٨٤/٢ ، الوافى بالوفيات ٢٥١/١٥ ، نكت الهميان ١٥٩٠ .

(٢) جهود ابن الدهان وأثره فى الدراسات النحوية والصرفية ، دار العلوم ١٩٩٣ .

(٣) انظر معجم البلدان ٢٢١/١١ .

(٤) السابق ٢٢٢/١١ .

(٥) السابق نفسه .

(٦) السابق نفسه .

(٧) بغية الوعاة ٥٨٧/١ .

(٨) السابق نفسه .

(٩) السابق نفسه .

(١٠) السابق نفسه .

- ٩- الرسالة السعيدية فى المآخذ الكندية ^(١) (مخطوط فى مكتبة كوبرلى رقم ١٢٠٤)
- ١٠- كتاب الرياضة فى النكت النحوية ^(٢) (مفقود) .
- ١١- كتاب زهر الرياض ^(٣) (مفقود) .
- ١٢- شرح أبنية سيبويه ^(٤) ، وهو موضوع كتابنا هذا .
- ١٣- شرح الإيضاح لأبى على الفارسي ^(٥) (مفقود) .
- ١٤- شرح الدروس فى النحو ^(٦) (محقق) .
- ١٥- شرح بيت من شعر صالح بن رزيك ^(٧) (مفقود) .
- ١٦- شرح كتاب اللمع لابن جنى المسمى بالغرة ^(٨) (مخطوط فقد أوله) .
- ١٧- كتاب العقود فى المقصور والممدود ^(٩) (مفقود) .
- ١٨- كتاب الغنية فى الأضداد ^(١٠) (مطبوع) .

(١) هى رسالة تشتمل على سرقات المتنبي من أبى تمام والبحترى ، ويقع نص الرسالة ضمن كتاب الاستدراك على المعانى الكندية من المعانى الطائفة لابن الأثير ، وقد حقق هذا الكتاب الأخير الدكتور محمد حنفى شرف ، طبع بمكتبة الأنجلو سنة ١٩٥٨ .

(٢) معجم الأدباء ٢٢١/١١ .

(٣) كشف الظنون / ٩٦٠ .

(٤) ذكره بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ١٧٠/٥ .

(٥) معجم البلدان ٢٢١/١١ .

(٦) حققه د / إبراهيم الإدكاوى ، ونشر بمطبعة الأمانة سنة ١٩٩١ م .

(٧) معجم الأدباء ٢٢٢/١١ ، وإنباه الرواة ٥٠/٢ .

(٨) معجم الأدباء ٢٢١/١١ ، ووفيات الأعيان ٣٨٢/٢ .

(٩) معجم الأدباء ٢٢٢/١١ ، ونكت الهميان ص / ١٥٨ .

(١٠) طبع ضمن أربعة كتب تحمل اسم " نفائس المخطوطات " للأستاذ / محمد حسن آل ياسين بالعراق .

- ١٩- كتاب الغنية فى الضاد والظاء ^(١) (مفقود) .
- ٢٠- كتاب الفصول فى العربية ^(٢) (مطبوع) .
- ٢١- قصيدة فى الألفاظ النحوية ^(٣) (مطبوعة ضمن شرح لابن الخباز) .
- ٢٢- المختصر فى القوافى ^(٤) (مطبوع) .
- ٢٣- النكت والإشارات على السنة الحيوانات ^(٥) (مفقود) .
- وبعد ، فنسأل الله أن يجزى ابن الدهان أحسن الجزاء على ما قدم فى سبيل خدمة لغة القرآن من صادق الجهد ، وأن يتجاوز عن سيئاته وسيئاتنا بمنه وكرمه .



-
- (١) وفيات الأعيان ٣٨٢/٢ .
- (٢) حققه الدكتور / فائز فارس ، ونشرته مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٨ م .
- (٣) حققه الدكتور / عبد الرحمن العثيمين ، ضمن كتاب الفريدة فى شرح القصيدة لابن الخباز ، سنة ١٩٩٠ م .
- (٤) حققه الدكتور / محمد الطويل تحت عنوان " الفصول فى القوافى " ، نشرته دار الثقافة ، ١٩٩١ م .
- (٥) معجم الأدباء ٢٢٢/١١ ، والأعلام ١٥٤/٣ .